إسرائيليَّات!

(الجزء الأوَّل)

بقلم:

د. أسامة بن عبد الله خياط

إمام وخطيب المسجد الحرام

المُدرِّس في الحرم الشَّريف

١٤٣٩هـ-٢٠١٨م

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تمهيد

«مَنْ لا يعرفُ الشَّرَّ أحرى أنْ يقعَ فيهِ» عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رَوَوْا أنَّ بعضَ القومِ قال لعمرَ بنِ الخطَّاب-رضي الله عنه- يومًا: «**إنَّ فلانًا ليس يعرفُ الشرَّ**»؛ فقال: «**ذلك أحرى أنْ يقع فيه**»!

من هذا المُنطلق الواعي الحصيف الذي أومأ إليه أميرُ المؤمنين: عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قولته المشرقة بالحقِّ، نمضي -أيُّها الأعزَّاء- في موضوعنا هذا، ونأخذُ في الحديث عنه، في تتابُعٍ واتِّصال، بمشيئة الله، ولعلَّ اللهَ أنْ يُحقِّقَ به بعضَ ما قصدتُ إليه.

فموضوع الإسرائيليَّات الذي نَعرِضُ له بالحديث هو من أظهر الموضوعات التي تناولها أعداءُ ديننا بالدراسة، وما كانتْ هذه الدِّراسةُ يومًا مصروفةً إلى تبيان وجه الحق، وإظهار ما عَمِي على النَّاس منه، وإيضاح ما ضلَّ عنهم من جوانبه، وإنَّما كانتْ غايتُها: الهمزَ واللَّمزَ، والطَّعنَ على الإسلام، وتجهيل أهله، وزعزعةَ الثِّقةِ به في قلوب المنتسبين إليه، والمتسَمِّين باسمه، وصدَّ مَنْ لا يؤمنُ به عنْ أنْ يرِدَ خاطرُ الإيمانِ في قلبه، أو تنزِعَ نفسُه إلى الانضواءِ تحتَ لوائه، وذلك نتيجةً للتَّشويهِ المتعمَّد في صورتِه الوضيئة المشرقة التي عرفتها البشريَّة جيلاً بعد جيلٍ.

لذلك: كان لزامًا علينا-فيما أرى- أن نعرِضَ لهذه القضيَّةِ، مبتغينَ بذلك الوسيلةَ إلى تحذير بني قومنا من شرور أمثال هذه الطامَّاتِ والظُّلُماتِ التي ما كان لها أنْ تُودَعَ في كُتُبنا، أو تجد لها سبيلا إلى العامة منا، بل وبعض المثقفين فينا.

ولا مناصَ لنا-في مُبتدأ هذا الحديث- أنْ نُقدِّمَ له بهذه المقدِّمة الوجيزة، نُلمِعُ فيها إلى ما تشتدُّ الحاجةُ إلى بيانه وإيضاحه، وذلك؛ حتَّى تستضيءَ أمامَنا السُّبُلُ، وتغدو بيِّنةَ المعالِمِ، واضحةَ القَسَماتِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالإسرائيليَّات:

«إسرائيليَّات»: جمعُ إسرائيليَّة، وهي نسبة إلى «بني إسرائيل».

وبنو إسرائيل هم: ذُرِّيَّةُ النبي الصالح (الكريم ابن الكريم) يعقوب بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ومن جاء مِنْ بعدهم من نَسْلِهم إلى عهد النبيِّ ﷺ فيدخلُ فيهم: كلُّ من كان من ذراريهم على عهد موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

والمراد بالإسرائيليَّات: تلك الأخبارُ والآثارُ والمنقولات التي رواها بعضُ مُسلِمةِ أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن مُنَبِّه، وتميم الدَّاري، وأمثالهم، مما وجدوه في كتب بني إسرائيل، كالتَّوراة، والإنجيل، وما له صلةٌ بهما، ككتب الشروح والتعليقات.

السَّببُ في نشأتها:

يحدِّثنا علامةُ العربِ عبد الرحمن بن خلدونَ في «مُقَدَّمَته» الشَّهيرة عن أسباب ظهور هذه الإسرائيليات وشيوعها بين النَّاس، وتلقِّيهم إيَّاها بالقبول، فيقول:

«وكلُّ ذلك-أي: التفسير النَّقلي المُسنَد إلى الآثار المنقولة عن السَّلف- لا يُعرفُ إلا بالنَّقل عن الصحابة والتَّابعين، وقد جمع المتقدِّمون في ذلك وأوعوا، إلا أنَّ كتبَهم ومنقولاتهم تشتملُ على الغثِّ والسَّمين، والمقبول والمردود.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والسَّبَبُ في ذلك: أنَّ العربَ لمْ يكونوا أهلَ كتابٍ ولا علمٍ، وإنَّما غَلَبتْ عليهم البداوةُ والأمِّيَّةُ، وإذا تشوَّفوا إلى معرفةِ شيءٍ ممَّا تتشوَّف إليه النُّفوسُ البشريَّةُ، في أسباب المُكوِّناتِ، وبدءِ الخليقة، وأسرار الوجود، فإنَّما يَسألونَ عنهُ أهلَ الكتابِ قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم: أهل التَّوراةُ من اليَهُود، ومن تبع دينهم من النصارى.

وأهلُ التَّوراةِ الذين بين العرب يومئذٍ باديةٌ مثلهم، لا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهوديَّة، فلمَّا أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلُّقَ له بالأحكام الشَّرعيَّة التي يحتاطونَ لها مثل: أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحَدَثان، والملاحم، وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل: كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم...»[1].

ثمَّ يَذكرُ ما كان من أمر حَشْوِ المفسِّرين كتبَهُم بهذه المنقولات، فيقول: «وتساهل المفسِّرون في مثل ذلك، وملأوا كتبَ التفسيرَ بهذه المنقولات، وأصلها-كما قلنا- عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك؛ إلا أنَّهم بعُدَ صِيتُهم، وعظُمَتْ أقدارُهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدِّين والعلم؛ فتُلقِّيَتْ بالقبول من يومئذٍ»[2].

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٣٩.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٤٣٩-٤٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولقد يتبدَّى لك هذا المعنى جليًّا إذا أنتَ ألقيتَ نظرةً عَجْلى على أكثر الكتب المصنفة في التفسير بالمأثور؛ فإنَّها -في الغالب- مليئةٌ بمثل تلك التي اصطلحوا على تسميتها: (**إسرائيليَّات**)، وسنحاول أنْ نعرِضَ منها أشياء فيما يأتي بإذن الله.

غايةُ ما هنالك: أنَّ طائفةً من هذه التَّفاسير حينَ يُورد إسرائيليَّةً في خبرٍ من الأخبار يُردِفُ ذلك بالتَّنبيهِ الجَليِّ الظَّاهرِ على أنَّ هذه القصَّةَ أو ذلك الخبرَ قد رواه بعضُ القوم من طريق مسلمة أهل الكتاب الذين رَوَوْهُ مِمَّا يُوجدُ بين أيديهم من الكتب السابقة كما قدَّمتُ ذكره آنفًا.

وهي-أي تلك التفاسير التي كَشَفتْ عن الإسرائيليَّات- وإنْ لم يتَّفق لها ذلك التَّنبيه في كلِّ ما عَرَضَ لها من أخبارٍ، إلا أنَّ من النَّصَفةِ القولَ: إنَّه قد اتَّفق لها ذلك في الأكثر، وذلك كما هو الشأنُ في «**تفسير القرآن العظيم**» للحافظ النَّاقد البصير أبي الفداء ابن كثير.

❁ هل تجوز رواية الإسرائيليَّات؟

الإسرائيليَّات المنقولة عن أهل الكتاب **ذاتُ أقسامٍ ثلاثةٍ**، وبمعرفة كل قسم منها يستبين لنا الحكم الشرعيُّ المتعلق به.

وإنِّي ذاكرٌ لك هذه الأقسام مستنيرًا بما قد بسطه العلماء الفضلاء من بيانٍ وتفصيل وإيضاح.

❁ **أمَّا أحدها: فهو ما عَلِمْنا أنَّه صحيح مطابق للواقع**، غير مخالف لما بأيدينا.

فهذا القسم ليس على المرء جُناحٌ إنْ هو رواه، أو أودعه في بعض كتبه.

❁ **وأمَّا الثاني: فهو ما عَلِمْنا أنَّه كذب غير مطابق للواقع**؛ وذلك بأنْ كانَ بيِّنَ المخالفةِ لما بأيدينا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذا القسم لا يجوز لأحد روايةُ شيء منه إلا على جهة البيان لحاله، والتَّنبيه إلى كذبه، والتحذير من الركون إليه.

۞ **وأمَّا الثالث: فهو ما سُكِتَ عنه**، فلا هو من القسم الأول، ولا هو من الثاني. فهذا النوع هو الذي يتعيَّن علينا أن نقفَ وإيَّاهُ على ما أوقفنا رسول الله ﷺ في قوله:

«بَلِّغوا عَنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا؛ فليتبوَّأ مقعدَهُ من النَّار»[1].

وإذَنْ: فمِن هذا وأمثاله، يستبين لنا أنَّ على كل من يتصدَّى لتبيان معاني كتاب الله أنْ يضرِبَ صفحًا عن كلِّ ما عَلِم كذبه من تلك الإسرائيليات، أما الصحيح الذي يوافق ما بأيدينا؛ فإنه يذكره استئناسا به، ولا يكون ذلك على أنَّه أصلٌ معتدٌّ به؛ فإنَّ في كتاب ربِّنا وسُنَّة نبيِّنا غنيةً عنه.

أمَّا ما جاء من إسرائيليَّات مفارقًا لهذين الضَّربين؛ فإنَّ للمفسِّر أن يورده حكايةً له وعرضًا لما فيه، من غير أن يكذِّبَ شيئا منه، أو يجنَحَ إلى تصديقه.

وسوف نستعرضُ -بإذن الله- طائفةً من هذه الإسرائيليَّات التي حُشِيَتْ بها بعضُ كتبِ التَّفسير، لعلَّهُ أنْ يكونَ في ذلك تنبيهٌ إليها، وتحذيرٌ منها، وإبداءٌ لعَوارها، وكشفٌ لأستارها، والله الموفِّق.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، والترمذي في جامعه، والدارمي في سننه. ولتفصيل القول في هذا انظر: ((مقدمة التفسير)) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٤٥-٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل يتحاسد الأنبياء؟

لم تقِفْ هذه الإسرائيليَّاتُ-التي نعرض لها- عند حدٍّ محدود، ولكنْ ما برِحَ أمرُها في غلوٍّ وشرُّها في استفحالٍ، حتَّى بلغتْ حدًّا فاق كلَّ توقُّعٍ، وجاوز كلَّ خيالٍ.

ذلك أنَّ الذين تولَّوا كِبْرَ اختلاقها، لم يحجُزْهُم صُبابةٌ من وَرَعٍ عن الإمعان في ذلك الاختلاق، حتى انتهى بهم الأمرُ إلى تأليف القَصَصِ المفترى الذي يقصدون به إلى إظهار أنبياء الله ورُسُله في صورة القوم الذين استبدَّ بهم التحاسُدُ، وهاكم هذه الروايةَ التي يذكرها بعضُ المفسِّرين في بيان المرادِ **بإلقاء موسى الألواح** في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

فإنَّ في هذه الرواية أنصعَ دليلٍ، وأظهرَ بيانٍ، يدلُّك على عِظَم إفك بعض أهل الكتاب، وجراءتهم على الله ورسله.

أخرج ابنُ جريرٍ الطبريُّ بسنده من طريق بشر بن معاذ أنَّ قتادةَ قال: «**قوله: أخذ الألواحَ، قال: ربِّ إنِّي أجد في الألواح أمةً خيرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، اجعلهم أمتي، قال: تلك أمَّةُ أحمدَ! قال: يا ربِّ إني أجد في الألواح أمةً هم الآخِرون-أي آخرون في الخلق- السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد! قال: ربِّ إنِّي أجدُ في الألواح أمَّةً أناجيلُهم في صدورهم يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظرا، حتَّى إذا رفعوها لم يحفظوا منها شيئا، ولم يعرفوه، وإنَّ الله أعطاكم أيَّتُها الأمةُ من الحفظ شيئا لم يُعطَ لأحدٍ من الأمم، قال: ربِّ اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد! قال: ربِّ إنِّي أجدُ في الألواح أمةً يؤمنون بالكتاب الأول والآخر، ويقاتلون فصول الضلالة، حتى**

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقاتلوا الأعورَ الدَّجَّال، فاجعلهم أمَّتي، قال: تلك أمَّةُ أحمدَ! قال: ربِّ إني أجدُ في الألواحِ أمةً صدقاتُهم يأكلونها ثم يؤجرون عليها، وكان من قبلكم إذا تصدَّق بصدقة قبلت منه، بعث الله عليها نارًا فأكلتها، وإنْ رُدَّتْ عليه، تُرِكَتْ فأكلها الطَّيرُ والسِّباعُ، وإنَّ اللهَ أخذ صدقاتكم من غنيِّكم لفقيركم، قال: تلك أمة أحمد! قال: ربِّ إنِّي أجدُ في الألواحِ أمَّةً إذا همَّ أحدُهم بسيئةٍ لم تُكتبْ عليه، حتى يعملَها، فإذا عملها، كُتِبتْ عليه سيِّئةٌ واحدةٌ، فاجعلهم أمَّتي، قال: تلك أمَّة أحمد! قال: ربِّ إنِّي أجد في الألواح أمةً هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد! قال: ربِّ إنِّي أجد في الألواح أمةً هم المُشَفَّعون والمشفوعُ لهم، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد! قال: وذُكِرَ لنا أنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم ألقى الألواح، وقال: اللَّهُمَّ اجعلني من أمة أحمد، قال: فأُعطي نبيُّ الله موسى- عليه السلام- ثِنتينِ لم يُعطَهُما نبيٌّ، قال الله: يا موسى! إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، قال: فرضي نبيُّ الله، ثم أُعطي الثَّانية: {ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} قال: فرضي نبيُّ اللهِ كلَّ الرِّضا»[1].

نقد هذه الرواية:

لقد تصدَّى لهذه الإسرائيليَّة النُّقَّادُ الجهابذة من محدثي المفسرين كابن كثير، فإنه قال في «تفسيره»: «وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولا غريبًا، ولا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد ردَّه ابن عطيَّة وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنَّه تلقَّاه قتادةُ عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذَّابونَ، ووضَّاعونَ، وأفَّاكون، وزنادقةٌ»[2].

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤١).

(٢) تفسير الحافظ ابن كثير (٢/ ٢٦٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كما أنَّ للعلامة القرطبي -في هذا المقام- كلامٌ مضيءٌ أذكره لك بنصِّه؛ فإنَّ فيه غنيةً عن فضول الكلام، يقول رحمه الله: «**ولا التفاتَ لما رُوِيَ عن قتادة-إن صحَّ عنه ولا يصحُّ- أنَّ إلقاءَ الألواحِ إنَّما كانَ لما رأى فيها من فضيلة أمة محمد ﷺ ولم يكنْ ذلك لأمَّته، وهذا قولٌ رديءٌ لا ينبغي أنْ يُضافَ إلى موسى ﷺ**»[1].

وهو كلامٌ -كما ترى- من الحُسن بمكانٍ، ظاهرُ الهدى بيِّنُ الصَّوابِ، وما ذكره هذا الإمامُ هو الحقُّ الصُّراحُ، فإنَّ هذا الذي في رواية قَتادةَ من أمر موسى عليه السلام لا تسوغُ إضافتُه إلى عامَّة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فضلا عن أولي العزم منهم كموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى نبيِّنا أفضلُ صلاةٍ، وأتمُّ سلامٍ!

وقد حكى الحافظُ أبو الفرج ابن الجوزيُّ ما جاء في روايةِ قتادةَ من بيان السبب في إلقاء الألواح، ثمَّ أعقب ذلك بقوله: «**وفيه بُعدٌ**»[2].

وليس في مُكنتي إلا أنْ أقول: **هذا الخبرُ ليس فيه بُعدٌ فحسبُ، بل إنَّه بعيدٌ غايةَ البعدِ، وهو جديرٌ بالاطِّراحِ، حقيقٌ على أنْ يُقذفَ به دَبْرَ الآذان.**

تنبيهٌ:

ليس معنى ردِّ هذه الرواية: **الطعنَ على ما قد جاء فيها من خصال هذه الأمة**؛ فإنَّ الحديث عن هذا الباب ليس مما نقصد إليه في هذا المقام، على أننا نقول: إنَّ خصائص أمة سيد البشر محمد ﷺ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٨٨).

(٢) زاد المسير

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثابتةٌ بالأحاديث الصحاح المنقولة إلينا من طرق سالمة من الوهن والخلل، ومثل هذه الرواية التي قدَّمنا ذكرها لا يُركنُ إليه، ولا يُعتمد عليه في مثل هذا، فإنَّ فيما ثبت من الأحاديث غنيةً عنه.

المعنى الصَّحيح:

ولئنْ سألتَ: ما المعنى الصَّحيح الذي قصد إليه المولى جَلَّوَعَلَا بإخباره عن إلقاء موسى الألواح؟

فالجواب: أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنَّما صنع ما صنع من شِدَّة الغضب، وفَرْط الضَّجَر؛ حَمِيَّةً للدين؛ وذلك لما رأى من نأي قومه عن الهدى، واتِّباعهم سلطان الهوى، بعبادتهم العجلَ، فأضحَوا بذلك الذي فعلوه سادرينَ في مَهامِه الضَّلالِ، غارقين في لُجَج الكفر.

ولقد أبان عن هذا المعنى طائفةٌ من أهل التَّفسير، وأومأوا إليه في تضاعيف كلامهم، وأودعوه في تصانيفهم، ومنهم -مثالا لا حصرا- العلامة البيضاوي في تفسيره[1]، والحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في «زاد المسير»[2]، وأبو السُّعود في «إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم»[3]، وكذا النَّسفي في «تفسيره»[4]، والخازن[5].

---

(١) (٣/ ٢٨).

(٢) (٣/ ٢٦٤)

(٣) (٢/ ٤٠٧)

(٣) (١/ ٧٨)

(٥) (٢/ ١٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب